مساهمات البحر

- ١ -

يساهم البحر في تشكيل الحواف
مرتهناً إلى قوة خياله
وأسراره الغائرة في أعماق الأزل
يجد ضالته في ظنون الرمل
ويحاذي الأفق الذي لا ينضب..
يساهم في تشويه المراكب من الأسفل،
وتغريه استدارات النهود الطافية بشهوة
على رفة عينيه ورموشه المبتلة
بالمناقير اللازوردية.
يساهم في رصد الكائنات الهزيلة،
يبتلعها كوحشٍ يتبدى في صورة المغفرة،
ثم يرسلها منفوخة نحو الشاطئ،
ليتمرن عليها رجال الإنقاذ
وعربات الإسعاف المترعة برائحة الأبواق.

يساهم في تقليب صفحات السماء
يوماً بعد يوم ليثير صدى النجوم
على العتبات الضيقة والمعتمة
كلسان ملتهبٍ ومحروق.
يساهم في استدراج النوارس الهاربة
إلى ملاذات غير آمنة في قيعانه،
ويهمس في آذانها نبوءات مفقودة ومتروكة
تعصف بها الوساوس وهمهمات لا مفرَّ منها.
يساهم في تفعيل أوار الرياح
متَّخذاً من المدِّ والجزر واللطم والتلاطم
أفكاراً مفتوحة الفم لابتلاع أوصاف الخوف
والاستسلام.
يساهم في بثِّ الرعشة في عروق المجاديف
المتصيدة لجبهته الهائلة
آمراً إياها:
أوصلي القوارب إلى اليابسة لتشرب الزنود
نخب شجاعتها.
يساهم في إقامة الأعراس في هوادجه،
يزوِّج الأسماك بعضها ببعض
ويقيم شريعة الغاب المقلوبة:

الأسماك الكبيرة تفرُّ
من أمام الأسماك الصغيرة،
وترتكن الحيتان في مواقعها
متَّخذة احتياط الخوف الأقصى!
يساهم في كتابة الشتات الأبعد،
جامعاً هالة الضباب من حول أيقوناته
ولآلئه وحلزوناته وقواقعه الباهرة.
يخلق كورساً من الأشجار
والأعشاب الغريبة
لحنجرته الرخيمة
ويغني أغاني الريح
والشساعة.
- ٢ -
يحيا البحر من خصلاته الطويلة،
ومن لمعان شهوته التدميرية.
يحيا البحر من تعريه الأبديِّ،
ومن شيبته التي لا تتبدل ولا تشيخ أبداً.
يحيا البحر من جرحه
الذي يتبدَّى أمام الناظر كوجه الله.
يحيا البحر من لغاته التي لا تفهمها

سوى المراكب وقبعات الصيادين.
يحيا البحر من كتبه وفهارسه ومدوَّناته،
من خصاله وهيئته الفارعة الزرقاء.
يحيا البحر..
يحيا البحر..
دائماً
وأبداً.

بون، ١٦/ ٤/ ٢٠٠٢